الثقافة العربية..
أوضاع مزرية واستراتيجية مفقودة

دبي ـ دارين شبير

على تلك البقعة من الأرض، يثيرك ذاك الضجيج، تلك الأصوات المتعالية، ذاك الصراخ الذي لم يعد يكترث بما حوله، فالوضع الثقافي العربي البائس قضى على كل أمل بغدٍ أفضل، فجال بسكاكينه بين همم الأدباء والمثقفين، في محاولة لإيقاظ ضمائرهم التي أعتقد - سلفاً - بأنها غائبة، مُطالباً إياهم بوقفة ينتصرون فيها للثقافة، ليجد في دواخلهم جروحاً استفحلت، وانتفضت لتكشف عن جرعات من أوجاع، وباقات يأس من حال الثقافة العربية اليوم.

مأساة حقيقية، أبطالها مثقفون بؤساء حالمون بحرية القلم والإبداع، بعيداً عن أي حصار فكري يقف لهم بالمرصاد، يقتل في دواخلهم كل بارقة أمل حاولت التسلل إليهم في غفلة من عين السياسة، ليجدوا أنفسهم يناضلون في سبيل قول كلمتهم، ويعيشون صراعاً أزلياً بين رغباتهم وطموحاتهم، وبين خوفهم من المجهول.

اجتمعوا معاً في مكان واحد، اتفقوا أخيراً على أن وضع ثقافتهم العربية مزرٍ وبائس، ووجدوا ضالتهم في استراتيجية ثقافية تعيد للمثقف العربي قيمته واعتباره، قصدوا أبواب الحكومات، وقدموا مقترحاتهم رغبة في الإصلاح والتغيير، ليضعوا حكوماتهم أمام مأزق الإصلاح الثقافي الذي بات مطلباً حتمياً عجزت عن تحقيقه منذ عقود.

«البيان» طرقت أبواب الأدباء والسياسيين لتستشف حال ثقافتنا العربية اليوم، وتتلمس ملامح استراتيجية جديدة تنتصر للثقافة ويتقبلها صناع القرار في الوطن العربي.

- المثقف محارب في لقمة عيشه والقلم هو السلاح الذي يُحارَب في وطننا العربي
- السياسة ستبقى مسيطرة على الثقافة حتى يتحرك المثقفون ويضجوا بأصواتهم لتنفيذها
- الحديث عن التنمية يعني الثقافة والتربية والتعليم وذلك شبه معطل في دولنا العربية
- نحتاج لإنتاج المقولة الثقافية العربية عبر استراتيجية تبدأ من مناهج التعليم والإعلام
- نجاح الاستراتيجية يتحقق بالتركيز على وجود خطة تنفيذية على مراحل زمنية

طالبوا باستراتيجية تعيـــ

أدباء ومختصون: حال ثقـــ

دبي- دارين شبير

الوضع الثقافي العربي بائس إلى ما لا حدود، والحاجة إلى استراتيجية تعيد للمثقف العربي اعتباره، باتت مطلباً عاجلاً، والصراع بين المثقف والسياسي، يترصد لكل محاولة جادة لاستنشاق هواء نقي، فبات المضي نحو استراتيجية ثقافية، حلماً لا يقتله سوى وقوف الحكومات العربية في وجهه، لتقضي عليه قبل أن يتحقق. المسألة كبيرة، والقضية شائكة، والمثقف العربي اليوم خائفٌ، يعمل في جو يسوده ضعف الإرادة السياسية، هذا ما أجمع عليه أدباؤنا، فالسلطة تواجه اليوم مأزق الإصلاح، في ظل بحث المثقفين عن ذواتهم المهمشة. «البيان» التقت وتواصلت مع عدد من الأدباء والمثقفين والشعراء، ورؤساء اتحادات الكُتاب والأدباء والجمعيات الثقافية في مختلف أقطار الوطن العربي، لتضع يدها على الجرح، وتستشف موضع الألم، لتجد أن المأساة كبيرة، وأن الوضع العربي «مزرٍ» بشهادة الجميع.

> مجدي بن عيسى:
> **على المثقف ألا يرتمي في حضن السياسي**

وصف الكاتب والشاعر والباحث التونسي مجدي بن عيسى، أستاذ في الجامعة التونسية، وعضو في اتحاد الكتاب التونسي، الحالة الثقافية العربية بـ «المزرية»، مرجعاً الأسباب إلى الأوضاع السياسية، وقال: هناك أخطاء سابقة حدثت، ولا نستطيع أن نرسم استراتيجية ثقافية عربية، إلا بمراجعة ما مضى من أخطاء أساسية سابقة، وذلك لتلافيها مستقبلاً، فطبيعة الخطاب الثقافي العربي الذي تأسس ضمن وضعية سجالية حول الهوية، لم يتم حله حتى الآن، ما أنتج الوجه الآخر الذي توحش فجأة، وظهر على شكل «داعش» و«القاعدة» وغيرهما، وعدم فض هذا الإشكال منذ نهاية القرن التاسع عشر، والتراكمات التي حدثت بعده كانت سبباً أساسياً في ذلك، والسبب الثاني، هو التحالف غير السوي بين السياسي الاستبدادي وبين المثقف، فالثقافة العربية في مشروعها الحداثي بداية من ستينيات القرن الماضي، دخلت في تحالف مع الحكام المستبدين، ما أفقدها مصداقيتها في الشارع، لتصبح مصداقية المثقف في الشارع العربي، خاضعة للاستبداد السياسي، كما دخلت العولمة على الخط، وأصبح همّ المؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية، بيع الثقافة بشكل من الأشكال.

خطاب جديد

ولفت بن عيسى إلى أن الثقافة الرؤيوية التي تؤسس للروح والشخصية العربية فُقدت، ما يجعل من وجود استراتيجية ثقافية جديدة، مطلباً ضرورياً، بشرط أن يركز أول بند فيها على استعادة المثقف لسلطته الرمزية والمعنوية في المجتمع، فتهميش المثقف سيفقده سلطته، لأن المثقف كلمة، وهذا الكلمة إذا لم ترافقها سلطة حقيقية، لن يكون لها أي فاعلية، ومن هنا، تأتي ضرورة أن تضمن الاستراتيجية حق الاستقلالية للمثقف، بحيث يستطيع أن يوجد المساحة المطلوبة بينه وبين السياسي، لا سيما أن الفصل بين السياسة والثقافة غير ممكن، وقال: الاستراتيجية جزء من السياسة الثقافية، ولكن لا يجب أن يرتمي المثقف في حضن السياسي، بل يحافظ على المسافة الفاصلة بينهما، ليأتي البند الثاني الذي يعمل على إتاحة المجال لإيصال خطاب جديد يتفاعل معه الشباب، بحيث يمكن أن يؤثر فيهم بشكل يؤسس لمستقبل عربي، وهنا، يجب تجديد الخطابات، خاصة الديني، الذي يعد ثقافياً في الأساس، وضرورة أن يتجرأ المثقف على تقديم قراءة جديدة للنصوص الدينية، وألا يخاف من الطرف الآخر الذي يسارع إلى تكفيره، والأهم من ذلك كله، هو أن تكون ثقتنا بأنفسنا أكبر، فوجودنا في هذا التاريخ عريق جداً، ولدينا ما يكفي من حضارة، لجعلنا ثابتين في وجه هذه الثقافة العولمية.

الفصل بين الثقافة والسياسة ضرورة

> مراد السوداني:
> **لا بديل عن الحرية إلا بالمزيد منها**

ذكر الشاعر الفلسطيني مراد السوداني، الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب الفلسطينيين، والأمين العام للجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم «اليونيسكو»، أن الوضع العربي بمجمله، يمر في مرحلة مخاض، في ظل شريط النار الذي يلف الأمة العربية من الماء إلى الماء، وقال: في ظل انتشار الفتاوى التكفيرية، واتساع دائرة الإرهاب والقتل والدمار، نحتاج لإعادة إطلاق وإنتاج المقولة الثقافية العربية، عبر استراتيجية وازنة، تبدأ من خلال مناهج التعليم والإعلام والثقافة، باعتبارها الجدار الأخير الذي إذا انقض، ستنهار بقية الجدر المجتمعية والاقتصادية والسياسية، ولذا، فنحن بحاجة لأمن ثقافي لحماية المجتمعات وتعزيز الثقافة، باعتبارها قنطرة لحماية وحراسة المجتمع من كل الفتاوى والسياقات التي تصيبه في مقتل. وعن مدى الحاجة لاستراتيجية ثقافية عربية، قال: منذ ما يزيد على 40 عاماً، أطلقت جامعة الدول العربية، استراتيجية ثقافية عربية، ولكن المجتمعات والمؤسسات والأطر السياسية والدول العربية، لم تصل إلى مرحلة إيلاء الثقافة العربية السياق الأهم والوافر، بل جعلتها في أواخر سلم الأولويات، وهو ما أصاب المجتمعات في مقتل، ولو كان هنالك أمن ثقافي، وتأكيد على المقولة الثقافية والتعليم في المجتمعات العربية، لما خرجت لنا هذه المسوخ التي استباحت المجتمعات، وعممت الموت والدمار نهجاً ومنهجاً، ولذا، نحن بحاجة إلى الثقافة وبشدة.

حراس الحلم

وذكر السوداني أن النقيض، الاحتلالي الإسرائيلي، ينفق على الثقافة عشرات أضعاف ما تنفقه الأمة العربية مجتمعة، في سياق الترجمة وطباعة الكتب والجوائز والتفرغ الأدبي، وهذا أمر مؤسف بحق. وعن أهم البنود المقترحة في استراتيجية ثقافية تعيد للمثقف العربي اعتباره، أكد السوداني على التعليم، كونه السياق الذي يجب علينا التأسيس له، وقال: إلى جانب التعليم، علينا أن «نُدَوْزِن» العود جيداً، في ما يتعلق بإنتاج الخطاب الديني المتسامح، بعيداً عن الخطاب المشوش الذي يسيء لإسلام التسامح والمحبة والتعارف، بالإضافة إلى الانتباه إلى أن المثقف هو من يحرس الحلم، وما يتركه المثقفون هو وحده ما يبقى بعد سقوط كل شيء، وفي الوقت الذي يجوع فيه مثقفونا ويعتقلون، نرفع شعار «لا بديل عن الحرية سوى بالمزيد منها والتأكيد عليها».

تباين كبير

وطالب السوداني بالفصل بين السياسة والثقافة، وقال: ما بين سلطة الثقافة وثقافة السلطة تباين كبير، والسياسي الجيد هو المثقف الجيد، والمثقف أكثر ثباتاً على الاستشراف، وما يؤسسه المثقفون يظل ويدوم، ونحتاج لمثقف غير قابل للنفاق والتزييف والوقوع في أحبال السياسة ويستطيع تعميم فضائل الخير والتأسيس لرؤية جمالية.

> وثقافة السلطة تباين كبير، والسياسي الجيد هو المثقف الجيد، والمثقف أكثر ثباتاً على الاستشراف، وما يؤسسه المثقفون يظل ويدوم، ونحتاج لمثقف غير قابل للنفاق والتزييف والوقوع في أحبال السياسة ويستطيع تعميم فضائل الخير والتأسيس لرؤية جمالية.

دعم

طلال الرميضي: نفتقد وجود خطط ممنهجة لتثقيف المجتمعات

أكد طلال سعد الرميضي أمين عام رابطة الأدباء الكويتيين، وجود ضبابية وغوغائية وعدم وضوح في الاستراتيجية الثقافية العربية، لافتاً إلى عدم وجود خطط ممنهجة لتثقيف المجتمعات، وقال: كثير من المكتبات العامة مهجورة في وطننا العربي، وثقافة القراءة في الأماكن العامة محدودة، وهو ما يوجب على المؤسسات الثقافية، القيام بدورها بمساندة الحكومة، وعبر الدعم المادي واللوجيستي، من خلال إتاحة المرافق، وتوفير كافة الخدمات تحت رعاية الدولة. وعبّر عن أمله في تجاوب الحكومات العربية مع الاستراتيجيات لتطبيقها، لافتاً إلى وجود قصور من بعض المسؤولين لعدم إدراكهم أهمية الاستراتيجية الثقافية. وأشار إلى أن الاستراتيجيات تُطبق في ظل عمل جاد، والتعاون بين كافة المثقفين، وفق روح وطنية ومحبة الثقافة، دون النظر للمصالح الضيقة، وتكليف الأشخاص المثقفين الحقيقيين بتطبيق هذه الاستراتيجية.

بؤس

محمد بوحوش: وزارات الثقافة لدينا شكلية بلا مشروعات

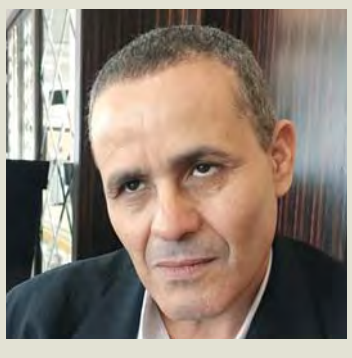

«أنا يائس من الوضع العربي، وهو وضع صعب جداً، بقي فيه الإنسان فقيراً بائساً»، بهذا الاستياء الشديد، تحدث الشاعر والقاص التونسي محمد بوحوش، عضو الهيئة المديرة لاتحاد الكتاب التونسيين، عن الحالة الثقافية العربية اليوم، واصفاً إياها بالمزرية. ومؤكداً أنه في كل قطر عربي، نجد وزارات الثقافة، لكنها فاقدة لأي مشروع ثقافي، وليس لها وجود وتأثير، وهي مؤسسات شكلية فارغة، ومن يقوم بالثقافة، هو المجتمع المدني، ولذا، نحتاج إلى استراتيجية ثقافية، لافتاً إلى أنها لا بد أن تنطلق من الاحتياجات الحقيقية للناس والمجتمعات العربية. وعما إذا كانت الحكومات العربية تلتزم بمثل هذه الاستراتيجيات. وأضاف: لن يكون هناك التزام، فالمجتمعات العربية بحكوماتها وشعوبها لا تسهم في الحضارة الإنسانية، فهي غير منتجة للمعرفة وللأدب والفن والتكنولوجيا، فنحن شعوب تستهلك ولا تنتج.

ـــد للمثقف العربي حقه

ـافتنا اليـوم مؤسف وبائس

مبارك سالمين:
مثقفنا العربي خائف ويعمل تحت سلطة غائبة

انفصام ذاتي

في محاولة للنظر إلى الحالة الثقافية من خلال مجهر يجعل الرؤية أكثر وضوحاً، لجأنا إلى مجهر الناقد البحريني الدكتور فهد حسين، الأمين العام لأسرة الأدباء والكتاب في البحرين، الذي ضبط أزرار مجهره، ثم قال: إذا نظرنا للثقافة العربية من منظور ثقافي، نرى الوضع في انحدار، أما من منظور اجتماعي، فسنراه بائساً.

هذا البؤس جعل من استراتيجية ثقافية عربية مطلباً مُلحاً، وعن ذلك قال د حسين: الحديث عن استراتيجية ثقافية عنوان مطاط، ولكننا بحاجة ملية لاستراتيجية ثقافية، إلا أن ه الاستراتيجيات لا يعدها أفراد سسات أهلية، لأنها تحتاج نات مالية ضخمة، لذا، لا ن وجود مؤسسة حكومية هم بشكل أو بآخر في دعم ذه الاستراتيجية، وحتى نستطيع أن نبنيها، لا بد من وعي فردي وجماعي تجاه المجتمع، كما يجب تحديد الهدف منها، والاتفاق على تفاصيلها وبنودها وأهدافها. ولفت إلى أن المثقفين يعانون انفصاماً ذاتياً، وقال: بدأ المثقف يتلون بتلون الأحداث الموجودة في العالم العربي، وهناك كثير من المثقفين تخلوا عن المبادئ التي تنادي بحرية الفكر، لنرى مثقفاً متشظياً في أفكاره ومصالحه الشخصية، وهذه إشكالية يعاني منها المثقف.

وعن مدى إمكانية تحويل الاستراتيجية الثقافية العربية إلى واقع، قال: يحتاج الأمر لتكاتف الأفكار والجهود، ولكن طالما يمتلك الإنسان الطموح والإيمان بدوره التنويري، وأهميته في التخطيط لبناء المجتمع، ستتحقق الاستراتيجية الثقافية، ونحن كمثقفين، لو آمنا بدورنا، سننجح حتماً في الوصول لأهدافنا، ولكننا بحاجة فعلية إلى الاهتمام بهوية الإنسان العربي القومي، لأننا لا نحتاج فقط لاستراتيجيات قُطرية، بل لاستراتيجيات قومية ذات هوية عربية.

فهد حسين:
المثقفون يعانون انفصاماً ذاتياً

خوف ونضال

لا نكاد نتفاءل بالوضع العربي قليلاً، حتى نتجرع كؤوساً من خيبات، فـ «الوضع العربي الثقافي مُزرٍ أكثر مما ينبغي»، هذا ما أكده اليمني الدكتور مبارك سالمين رئيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، معللاً حكمه بالقول: الوضع مزرٍ، لأن المؤسسات الرسمية لا تقوم إلا بواجباتها تجاه النخبة الحاكمة، ولا تهتم بالتنمية الثقافية إجمالاً، والحديث عن التنمية يعني التربية والتعليم والمراكز الثقافية والاحتكاك بالثقافات الأخرى، وكل هذا شبه معطل في دولنا العربية.

ولفت سالمين إلى أننا في البلدان العربية نناضل كي نتحدث عن استراتيجية عربية، فالمثقف العربي اليوم خائف، يعمل تحت سلطة السياسة الغائبة، وفي جو يسوده ضعف الإرادة السياسية.

وذكر سالمين أنه في حال تم وضع استراتيجية ثقافية عربية، فأهم البنود التي يجب التركيز عليها، هي التربية، فهي القادرة على خلق مواطن يتلقى ويتفاعل مع العناصر الثقافية المختلفة، ولا بد أن يتحول المتن الثقافي للعرب في مستقبلهم كمتنٍ رائد، وقال: نحتاج لسنوات طوال لتفعيل استراتيجية حقيقية، ولكن إذا رُشد الاستبداد، وأُتيحت الحريات الديمقراطية، قد يستدعي الأمر سنوات أقل، وأنا لست متشائماً، ولكن السلبية التي تطغى على حديثي، هي تعبير حقيقي عن الوضع الذي تمر به بلداننا العربية.

وعن أهم بنود الاستراتيجية التي ستعيد الاعتبار للمثقف العربي، قال: يجب أن تتخلص الثقافة من سلطة السياسة، وتركز على بناء الإنسان من خلال التربية والتعليم، وضرورة الانفتاح على الثقافات الأخرى، فنحن لسنا معزولين عن الكون، وهناك تجارب ناجحة وإرث ثقافي غني علينا الاستفادة منه.

جابر عصفور: حكوماتنا العربية عاجزة عن مواجهة الإصلاح الثقافي

لم يكن النقاش مع الكاتب والمفكر، وزير الثقافة الأسبق، الدكتور جابر عصفور، في هذه القضية عادياً، فحماسه الكبير، أضاف الكثير من الحقائق والقيمة لحوار طال الحديث فيه، لم يكن أكثر تفاؤلاً من غيره في ما يتعلق بالوضع الثقافي العربي، وعن ذلك قال: «الأوضاع الثقافية في الوطن العربي بائسة إلى أبعد الحدود، وهذا البؤس عامل مهم جداً من عوامل انتشار الإرهاب، لأن الإرهاب، في رأيي، قضية ثقافية في الدرجة الأولى، وليست قضية أمنية فقط.

شعارات

وأضاف: صحيح أن الأمن يحاول فرض النظام، ولكن فرض النظام دون إعادة تثقيف المجتمع العربي، عمل لا جدوى منه، ومن ثم، فإن منابع الإرهاب ستظل متجذرة، ما لم نتدخل وندرك أن هذه القضية ثقافية أولاً ثم أمنية، وأن ما نتحدث عنه ونرفعه من شعارات لا يكفي، ولكن لا بد من استراتيجية فعالة، وهذا أمر بالغ الأهمية والحيوية».

ثقافة الحرية

وعما إذا كانت حكوماتنا ستتقبل تفعيل استراتيجية ثقافية عربية يجمع عليها المثقفون، أجاب فوراً، وبكل صراحة: «لا وبوضوح، لأن الحكومات العربية لا تستطيع مواجهة أي إصلاح ثقافي حقيقي، لأن أي إصلاح حقيقي، يتضمن بالضرورة نشر ثقافة الحرية وحق الاختيار، كما أن أي إصلاح ثقافي جذري، لا بد أن يهتم حتماً بأن تكون هناك حريات فكرية وإبداعية، وهذا أمر لا تتقبله الحكومات العربية، إلى جانب أن أي محاولة جذرية لإصلاح ثقافي، ستتضمن تعديل وسائل الحكم، وهذا أمر ترفضه كل الحكومات العربية، ولكن رغم ذلك، فالأمر منوط بالمثقفين بالدرجة الأولى، ولذا، عليهم أن يعملوا ويُكوِّنوا جمعيات مدنية، بعيداً عن الحكومات، وإذا أرادت الحكومات المساعدة، فأهلاً وسهلاً».

وعي مدني

وأردف: «فلتتجمع كل المجموعات الثقافية في الوطن العربي، وتلتقي في المؤتمرات والندوات، وتخطط لمنظومة عربية ثقافية جديدة، فهذا هو الحال الوحيد لمواجهة الإرهاب». وفي حال أوكلت إليه مهمة تأسيس استراتيجية ثقافية، تحدث عصفور عن أهم البنود التي ستتضمنها قائلاً: «أولاً إصلاح الخطاب الديني فوراً، ليتناسب مع العصر، وثانياً، إعادة تأسيس وعي مدني ديمقراطي حديث في أذهان الناس، وثالثاً، نشر الثقافات النوعية المرتبطة بجوانب النهضة والتقدم، كالثقافة السياسية والصحية والاقتصادية والتكنولوجية، ما يرتقي بالمجتمع».

كفانا صراخاً ولنبدأ العمل

سعيد الصقلاوي:
الغرب يبحث ويعمل ونحن نتكلم ونعارض

ها نحن نستنشق بعض نسمات تفاؤل، بعض نفحات أمل مع الشاعر العماني سعيد الصقلاوي، رئيس الجمعية العمانية للكتاب والأدباء في سلطنة عمان، الذي بدأ حديثه بالقول: أنا ضد المتشائمين، فالحكومات تعمل على قدر ما تستطيع، وتجتهد وتخطيء، والناس أيضاً، ولكل مجتهد نصيب، ولا يجب أن نخطِّئ المجتهد، بل ننظر لفعله على أنه محاولة لإيجاد حل أفضل، لأننا لن نمتلك الحقيقة من أول خطوة، ولكن نصل للصواب من خلال التجارب العديدة، وتعديلها وتصحيحها والوصول بها إلى بر الأمان.

وعن الصراع الدائر بين المثقف والسياسي، قال: على المثقف أن يدرك طبيعة الأنظمة الموجودة، فكيف سيتعامل مع القوانين، لو كان جاهلاً بها، وعليه، حين يرى أن هذه القوانين ظالمة ومجحفة وغير فاعلة، أن يطلب تغييرها ببدائل أخرى يقدمها، وفي حال كان غير قادر على تقديم البديل والاكتفاء بالوقوف مكانه، فالقوانين لن تتغير، والآليات المستخدمة ستبقى كما هي.

وعن الحاجة لاستراتيجية ثقافية عربية، قال: الآلة الإعلامية تروج لمصطلحات فضفاضة لن تصل من خلالها إلى نتيجة، أهم ما يجب أن يعمل عليه الكاتب والمثقف في الوطن العربي، هو أن يمارس دوره التنويري والتثقيفي في المجتمع، ودوره ومطالبته للمجتمعات والأنظمة والمؤسسة العربية بإزالة الأمية عن المواطن العربي، ولو عزلنا الأمية، سنخلق مواطناً قادراً على التعاطي مع كل مجريات العصر، وطالما تسيطر الأمية على الوطن العربي، سيبقى الحال كما هو عليه.

محاربة الأمية

وتحدث الصقلاوي عن تجارب الدول المتقدمة، كالصين وكوريا وسنغافورة، فقال: لم تنهض هذه الدول عبثاً، بل وضعت خطة، كان أولها القضاء على الأمية، وبمحو الأمية، صار المواطن يعمل من أجل تطوير المجتمع، ولا ينتظر وظيفة، بل يقتحم مناحي الحياة وينخرط في المجتمع.

وأشار إلى أنه لو اتفق المثقفون على عمل استراتيجية، فأول بند فيها، يجب أن يركز على وجود خطة تنفيذية على مراحل زمنية، ومن هنا يبدأ العمل، ويبدأ دور المثقف الحقيقي، وقال: المنظمات في المجتمع الغربي تقوم بتغيير الواقع، ولكن ليس من خلال الصراخ، بل من خلال الدراسات والأبحاث وتقديم الرؤى والحلول والعمل، على عكس المجتمعات العربية التي تجتمع لتعارض وتدين وتشجب وتقول وتكرر ولا تفعل.

حبيب الصايغ: الاستراتيجية الثقافية حلم صعب المنال

أكد الشاعر حبيب الصايغ، الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، رئيس مجلس إدارة اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، أن الوضع الثقافي العربي مزرٍ، وعن سبب ذلك قال: الوضع بائس، لأن هناك دولاً تتشظى، وأخرى تسيطر عليها النزاعات، ووصلنا إلى مرحلة أصبحنا نجد فيها صعوبة في إيجاد دولة نقيم فيها الاجتماع الدوري للمكتب الدائم للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب. ولفت الصايغ إلى وجود تخلف وانحسار في موضوع الحريات والإبداع، ولكن في دول عربية كالإمارات، يظهر النقيض، فقد أثبتت الإمارات أنها قاطرة الارتقاء بالثقافة العربية ومستقبلها.

آليات تنفيذ

وأشار الصايغ إلى أن الوصول لاستراتيجية ثقافة عربية بمثابة حلم، وليس ممكناً أن يتحقق بسهولة، ولا خلال فترة وجيزة، وقال: يجب أن ترفق الاستراتيجية بآليات تنفيذ، وبرأيي أنه يجب أن يكون هناك مؤتمر موازٍ، فوزراء الثقافة العرب حين يجتمعون، يناقشون رؤاهم هم، ولكن الجسم الثقافي والإبداعي العربي، لا يتمثل في وزارات الثقافة، بل في اتحادات الكتاب، ولذا، أقترح أن يكون هناك مؤتمر موازٍ قبل مؤتمرات وزراء الثقافة بيومين مثلاً، ليقدم رؤى تفيد وتضيف للوضع الثقافي العربي، وتسهم في وضع الاستراتيجيات.

احترام الآخر

وعن البنود المقترحة في استراتيجية ثقافية عربية تعيد للمثقف العربي حقه، قال: يجب أن تركز على التعليم والقراءة، وقد لاحظنا التغيير في الإمارات بسبب مبادرات القراءة التي انعكست إيجاباً على المجتمع، إلى جانب التربية الأخلاقية التي تركز على مبادئ التضحية والتقديس لقيمة العمل، وضرورة احترام الآخر، وقبول رأيه ووجهات نظره، فمشكلتنا في الوطن العربي، تكمن في عدم الاستماع للآخر.

تفاهم

الهنوف محمد: خصوصيتنا تتمثل في أن مثقفنا هو حاكمنا

أشارت الشاعرة الهنوف محمد عضو اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، والمسؤولة الثقافية فيه، إلى أن دور الأمانة العامة لاتحادات الكتاب حالياً، هو المطالبة بتطبيق استراتيجية ثقافية، وبأن يكون هناك نوع من التفاهم بين المثقف العربي والحكومات، وقالت: للحكومات خطوط عريضة، لكن تركيبة المثقف أنه لا يحب القيود، وقد لا يستوعب حدود الأنظمة، ولذا، من الضروري أن يكون هناك نوع من التفاهم بينهما، ويجب أن يكون المثقف واعياً، ليفهم سبب القيود التي تضعها الحكومات، فالمثقف أحياناً ينسى أنه مواطن، ويتمرد. وطالبت الهنوف بوجود جلسات نقاشية مفتوحة. وقالت: نحن في الإمارات محظوظون، فالمثقف الإماراتي حصل على حقه كاملاً، لأن معظم حكامنا مثقفون وشعراء، وهناك تمازج بينهم، وهذا يختصر الكثير، ولذا، فنحن في الإمارات لنا خصوصية، تتمثل في أن المثقف هو الحاكم، والحكومة تفتح ذراعيها للجميع.

جهل

بديع صقور: دور الجامعة العربية مهمش

أشار الشاعر والأديب السوري بديع صقُّور، عضو المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب في سوريا «جمعية الشعر»، إلى أن لا شيء مضيء في الحالة الثقافية العربية، وقال: حين نبحث في الوضع العربي العام، فليس هناك من شيء مضيء، وينسحب ذلك على الثقافة، فالجهل حين يسيطر على الإنسان، يجعل منه عبداً، ونحن - ربما - ننساق وراء الغير، لأننا لم نقدم للحضارة المعاصرة شيئاً، وهذا دليل على صحة المثل القائل «لن تكون حراً ما دمت جاهلاً». وأكد صقُّور أن دور الجامعة العربية مهمش في ما يتعلق بالثقافة، قائلاً بحسرة: منذ 70 عاماً، لم تقدم شيئاً على الإطلاق، ولم يعد للمثقف وجود، لأن السلطة العربية بالأساس همشته، ولم تبحث عن دور له، وبالتالي، همَّش هو نفسه وانزوى، ربما خوفاً، أو عدم رغبة في المواجهة، لأن الثقافة مواجهة وفعل، والسلطة أسكتت هذا الفعل، وحين لا نمتلك ثقافة أو رؤية واضحة، لا نستطيع أن نفكر بالمستقبل.

لا تستشعر المسؤولية الحقيقية للمثقف

الحكومات العربية.. أمام مأزق مواجهة الإصلاح

الخذلان العربي بلغ مداه والنخب المثقفة تخلت عن دورها التنويري

نتكلم عن استراتيجية موحدة ونحن لم نتفق على مرشح عربي واحد لليونيسكو

محمد بن عيسى: الثقافة ليست ترفاً بل وسيلة للتنمية

ربحي حلوم: الأنظمة تحارب المثقف وهو تابع للسياسة

عبد الله الغذامي: اتحادات الأدباء العرب لم تقدم شيئاً

وهم كبير

لم يتفق الناقد والأكاديمي السعودي الدكتور عبدالله الغذامي مع غيره، بل كان رأياً متفرداً بذاته، سألناه عن مدى الحاجة لاستراتيجية ثقافية عربية تعيد للمثقف اعتباره، فأجاب: الزعم أن الثقافة بحاجة لاستراتيجيات تعيد للمثقف اعتباره، وهم كبير، يجب أن نلغيه وألا نسمح به، فلا نحن ولا غيرنا بحاجة لاستراتيجيات، ولا معنى أبداً لذلك، فالثقافة لا تشتغل باستراتيجيات، بل بحرية نابعة من ذات الإنسان، بكونه مثقفاً أو قارئاً، أما الحديث عن الاستراتيجيات فهو عبث نمارسه، ونكذب من خلاله على أنفسنا.

دبي- دارين شبير

ها نحن اليوم نقف على عتبات مرحلة فاصلة في تاريخنا العربي، فقد اتفق مثقفونا أخيراً، بعدما اعتدنا عدم اتفاقنا على شيء في أوقات سابقة، يقفون معاً وقفة رجل واحد، مطالبين باستراتيجية ثقافية عربية عاجلة، تعيد للمثقف العربي حقه واعتباره، وتضع النقاط على الحروف في وجه كل من يتعدى على حق الإبداع، فلا مصادرة لحق كاتب بعد اليوم، ولا خوف من تكفير وإرهاب فكري، ولا خطاب مشوش يسيء لإسلام التسامح والمحبة، والمثقف هو حارس الحلم، والحرية حق للجميع، ولا بديل عنها سوى بالمزيد منها.

وقفة تاريخية انتظرناها طويلاً، والاقتراحات والبنود جاهزة، ما يعني أن ملامح الاستراتيجية باتت واضحة، ولا ينقصها سوى التطبيق.

نتجه معاً نحو المؤسسات الرسمية، نطرق أبواب الحكومات العربية، ويبدنا استراتيجية ثقافية عربية جاهزة، سترسم لنا مستقبلاً أفضل، ستجعل غد أبنائنا أجمل، فهل حكوماتنا مستعدة لتطبيقها؟

«البيان» توجهت بسؤالها هذا إلى عدد من الأدباء، وعدد من المثقفين، الذين تداخلوا مع السياسة من جانب أو آخر، فكشفوا لنا الحقيقة، وفتحوا أعيننا على مساحة الأمل الذي يمكن أن نعيشه، أو الحلم الذي يمكن أن يتحقق بعد صراع طويل مع اليأس.

القضية مشتعلة، تثير أسئلة، وتستقي إجابات من هنا وهناك، هدأت حدة الحوار بعض الشيء بحديثنا مع محمد بن عيسى، وزير الخارجية المغربي الأسبق، أمين عام مؤسسة منتدى أصيلة، الذي أكد أن وصف الحالة الثقافية العربية بـ«المزرية» فيه نوع من القسوة المبررة، وقال: يبررها- دون شك- غيرة المثقفين العرب على الوضعية العامة، التي لا تسر أحداً منهم، خاصة أن ما نسميه نوعاً من الأسف «الخذلان العربي» بلغ مداه، متجلياً في عدة مظاهر أقلها انحسار النخب المثقفة وتراجعها على كل الصعد، والتي تخلت طوعاً أو كرهاً عن دورها الطليعي التنويري، ووجدت نفسها ضمن صف «المنتظرين» الذين لا حول لهم

مي آل خليفة: الثقافة لم تعد أولوية في مجتمعاتنا

أخذنا الحديث مع الشيخة ميّ بنت محمد آل خليفة، رئيسة هيئة البحرين للثقافة والآثار، إلى منحى آخر، فالثقافة في العالم العربي مهمشة ولا تمثل أولوية، وقالت: غيَبنا الثقافة، فلم تعد أولوية في مجتمعاتنا ولا على خريطة أحلامنا.

وعن اتفاق المثقفين على أن حال الثقافة اليوم مزرٍ وبائس قالت: «نحن نتسلح بالأمل، ومفردات مثل «بائس ومزر» ليست في قاموسنا، ولو ردد المثقفون مثل هذه الكلمات واكتفوا بذلك، فهم من أسهموا بسلبيتهم في خلق هذا الوضع البائس، وبذلك يكرسون هذا البؤس عنواناً لفترة وحقبة زمنية نعيشها، ورسالتي أننا نحن من يخلق الظروف إذا كان لدينا إيمان وهدف، ولو بدأ الإنسان بنفسه لاستطاع أن يحقق التغيير، وأنا مؤمنة بدور الأفراد، فهم يغيرون العالم، وأبسط عمل إيجابي يمكنه أن يغير نظرة العالم بأجمعه، وأي وضع صعب أو مستحيل يمكن أن يتغير لو كنا نؤمن بإرادة التغيير، ويكفينا أن نعلق أخطاءنا على شماعة الغير.

وعما إذا كنا بحاجة لاستراتيجية ثقافية عاجلة تعيد للمثقف العربي اعتباره، قالت ميّ آل خليفة: كيف نتكلم عن استراتيجية موحدة، ونحن لم نتفق على مرشح عربي واحد لليونيسكو؟ أرى أن أبسط استراتيجية تتمثل في اتفاقنا على اختيار مرشح واحد، إلا أننا عجزنا على أن نقف يداً واحدة في هذا التحدي، وهذا أمر مؤلم حقاً، وأمام هذا الوضع لا أستطيع أن أضيف شيئاً.

وعما إذا كانت الحكومات العربية تساند هذا التغيير، وتقبل تطبيق استراتيجيات جديدة، قالت: ولا قوة، عاجزين عن التأثير في المسار العام للتحولات الجارية.

وأشار إلى أن هذا الوصف لا ينطبق قطعاً على سائر البلدان العربية، فالأوضاع فيها وبينها يشوبها اختلاف نوعي وكمي، غير أن السمة العامة هي بالتأكيد دون ما تطمح إليه وتنتظره الشعوب العربية من منتجي الثقافة، قياساً ومقارنة مع ما يشهده العالم المتقدم من ثورة ثقافية بالمعنى العلمي الشامل وليس الأيديولوجي المحصور لكلمة «الثورة».

وعن مدى الحاجة لاستراتيجية ثقافية عربية تعيد للمثقف اعتباره. قال: «من وجهة نظري، لا تحتاج البلدان العربية إلى استراتيجية بقدر حاجتها إلى مخططات وسياسات عملية ومتدرجة قابلة للتنفيذ، تبعاً لظروف ومتطلبات كل بلد للنهوض بالشأن الثقافي فيه». وأضاف: «لم تعد الثقافة، وفق النظرة التقليدية، ترفاً وحلية اجتماعية، محصورة في نطاق الكتابة والقراءة للمصنفات الأدبية، بل هي وسيلة عقلانية ضمن أخرى لتحقيق التنمية المستدامة، ومن هنا فإن واجب الدولة يتمثل أولاً في تهيئة الظروف والبنيات التحتية الضرورية لأي انطلاقة ثقافية، بما فيها سن القوانين والتشريعات المحفزة على الإنتاج الثقافي الجيد، القادر على احتلال مكانه في عالم معولم، يتميز بالمنافسة الشرسة في سوق كبير أصبحت الثقافة فيه منتوجاً مادياً ورمزياً مدراً للثروة، قابلاً للتصدير والاستيراد».

لماذا نُسيَس الأمور؟ نحن نتكلم عن دور المثقف، المثقف الفاعل وليس الكسول، فهناك عدد من المثقفين، الذين يكتفون بالنظر، ولا يغادرون دائرة الجماعة التي يرددون أفكارها، وهؤلاء لو نزلوا إلى الشارع لوجدوا أبواباً ومسالك أخرى لم يسلكوها أو يتطرقوا إليها، وبالنسبة لي، فأنا أؤمن بالفرد، وبالقدرة على التغيير تحت أي ظرف.

نتيجة ايجابية

وأكدت أن على المثقف أن يبدأ بنفسه، بدلاً من أن يكتفي بالتشاؤم، وبترديد عبارات سلبية مثل «إننا في أسوأ الظروف، وأصعب الفترات»، و«ليس هناك مخرج»، لأنه بذلك يكون قد سلّم بالنتيجة، بل علينا أن نعمل بجد، ولا بد أن تكون النتيجة إيجابية، وعلينا أن نعي بأن مسارات دول تتغير بإرادة أفراد.

قاموس عسكري

ولفت إلى أن «الاستراتيجية» كلمة كبيرة، لا يمكن أن ينهض بها فرد مهما أوتي من قدرات ومؤهلات، وبالتالي فإن إعدادها يوكل في الأغلب إلى جماعات من صفوة الخبراء والفنيين، يمثلون مشارب عدة، والكلمة مستقاة من القاموس العسكري، حيث يشترط في إعدادها، بُعد النظر والدقة في التخطيط ورسم الأهداف وضبط الوسائل الناجعة، لضمان النصر في المعركة.

وما إذا كانت الحكومات العربية على استعداد لتنفيذ استراتيجية ثقافية يجمع عليها المثقفون، قال: بما أنني لست أهلاً ولا قادراً بمفردي على صياغة استراتيجية ثقافية، فإني لا أستطيع الجواب بالنيابة عن الحكومات العربية، التي أعتقد أنها تبذل في هذا الصدد، الجهد المطلوب منها تبعاً للإمكانات والظروف المتاحة والسياسات المرسومة.

انتاج ثقافي

وأنهى بن عيسى حديثه بالإشارة إلى أن وضعية الثقافة في البلدان العربية ليست بالغة السوء، بل ربما هي أفضل من الأوضاع السياسية والاقتصادية، وقال: على سبيل المثال فإن ما نلاحظه في الإمارات، في مجالات الطباعة والنشر وترويج الكتاب وحاملات الثقافة وغيرها، يعني أن السلطات الحكومية مضطلعة بدورها في توفير وسائل الإنتاج الثقافي، إضافة إلى ما تقوم به المملكة المغربية من جهد مماثل لتنمية الرصيد الثقافي وتطويره وإغنائه، وأضاف: صحيح أن ما تستثمره الإمارات يفوق ما يرصده المغرب؛ ومع ذلك فإن القطاع الثقافي في المغرب يتسم بالحيوية، والتفاعل المثمر والحوار بين التعبيرات الثقافية والإشعاع في الداخل والخارج.

حرب على المثقف

وصف السفير السابق الدكتور ربحي حلوم، أمين الشؤون الخارجية برابطة الكتاب الأردنيين، الحالة الثقافية بأنها مشلولة، وقال: «هي مشلولة لعدة أسباب، أبرزها تقييد حريات المثقف العربي، بحيث لا يستطيع أن يتكلم بحرية، فهو محارب في لقمة عيشه وقلمه، والقلم هو السلاح الذي يحارب في وطننا العربي».

وذكر حلوم أن الأنظمة هي من يحارب المثقف أولاً، فهناك عدم إحساس بالمسؤولية الحقيقية للمثقف العربي، إضافة إلى أن كثيراً من المثقفين لم يستطيعوا أن يرقوا إلى مستوى المسؤولية المطلوبة منهم، معتقدين أنهم بمجرد كتابتهم لقصيدة أو مقال في صحيفة يومية، قد قاموا بواجبهم، إلا أن الثقافة أبعد من ذلك بكثير. وقال: الثقافة تبدأ من التربية في البيت، ثم من مناهجنا التعليمية في الوطن العربي التي تركز على النخب الحاكمة، وتبتعد عن المستقبل الحضاري للأمة. وأشار إلى أن الثقافة العربية يجب أن تتوحد بحيث تكون عربية لا تتكلم بلسان قطر معين، فالتركيز على القُطرية هو تركيز على السلطة، وللأسف المثقف يتبع للسياسة رغم أنه يجب أن يكون قائداً لها، وليس تابعاً.

مضايقات

وأكد حلوم أن الحكومات العربية على استعداد لتنفيذ الاستراتيجية العربية الثقافية، ولكن بجهد مشترك من الجميع، المثقف والسلطة معاً، وقال: بشكل عام هناك تفاوت في المواقف، فأنا شخصياً تعرضت لاعتقال ومضايقات، ولكني قادر حتى تلك اللحظة على قول كلمتي، سواء في صحيفة أو محطة فضائية أو كتاب، ولا أتراجع عن ذلك. وعن تصوره للاستراتيجية التي ستعيد الاعتبار للمثقف العربي، قال: يجب أن تكون المصلحة العليا قبل القطرية، وعلى المثقف العربي أن يهتم بارتقاء المناهج التعليمية، وألا يقتصر دوره على البحث عن لقمة عيشه، وعلى الأنظمة أن توفر الحريات العامة للمثقف العربي، ما يفتح الأفق أمامه للإبداع.

هراء

طالب الناقد والأكاديمي السعودي الدكتور عبدالله الغذامي المثقف بأن يكون إنساناً وأن يقول كلمته بلا خوف، وعن التجمعات والاتحادات الثقافية التي تطالب باستراتيجيات تعيد الاعتبار للمثقف والثقافة العربية، قال: كل التجمعات والاتحادات الثقافية التي تقام لا تعنيني، واتحادات الأدباء العرب عمرها يصل إلى 60 سنة، ولكنها لم تفعل شيئاً أبداً، وأعظم أدبائنا لم يكونوا أعضاء في هذه الاتحادات، لا نجيب محفوظ، ولا محمود درويش، ولا إدوارد سعيد، ولا السياب، وأصحاب هذه الاتحادات يريدون أن يكونوا زعماء كأي زعماء آخرين، ساعين لجعل اتحادهم قوة ديكتاتورية يفرضون بها سلطتهم، وهذا هراء.

وأشار الغذامي إلى أن من يطالب باستراتيجيات تضمن الحماية للمثقف، هو «غلبان» خانع مقهور قهر نفسه بنفسه، وقال: لا أريد من الحكومات ولا من غيرها أي بساط أحمر، يضمن الحماية للمثقف، فمحمود درويش واجه الدبابة الإسرائيلية، وإدوارد سعيد واجه الاغتيالات الصهيونية في قلب نيويورك، ولم يطلب أي منهما استراتيجية، ولم يطالبا بالأمان ولا بالتحصين ولا ببيانات من هراء لا معنى له، ومثل هؤلاء المثقفين، الذين يطالبون بصك حماية من السلطة كارثة حقيقية يجب إنهاؤها.

تفاؤل

عمر قدور: السياسة مسيطرة على الثقافة حتى يتحرك المثقفون

الفريق الدكتور عمر أحمد قدور، رئيس الاتحاد القومي للأدباء والكتاب السودانيين، مساعد الأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، وأستاذ القانون الدستوري والنظم السياسية، طالَب بالتفاؤل، لافتاً إلى أن المثقف المتشائم انهزامي، وأن السياسة ستبقى مسيطرة على الثقافة حتى يتحرك المثقفون ويضجوا بأصواتهم لتنفيذها، وأكد أنه من الضروري أن يكون للجامعة العربية ممثلة في أمينها العام، ولليونيسكو العربي، دور في تفعيل هذه السياسات بالسعي الحثيث مع وزارات الثقافة، في أن تتبنى وزارات التعليم والتربية والجامعات هذه الاستراتيجية وتطبقها بإلحاح. ولفت إلى أنه ينبغي أن يتم تحريك مهمة الأمين العام، مشيراً إلى أن وظيفته ووظيفة الأجهزة المساعدة تتمثل في تحريك الموج بعد أن يستلم هذه القرارات، ومؤكداً أن التنفيذ مشكلة تواجهها الاستراتيجيات والخطط العربية.

مقاومة

وليد أبو بكر: الحكومات غير معنية بالثقافة والمثقفون يلهثون وراء مصالحهم

لم يكن الكاتب وليد أبو بكر، مسؤول العلاقات الخارجية بالأمانة العامة لاتحاد كتاب فلسطين، بحاجة للتفكير مطلقاً، حين سألناه عما إذا كانت الحكومات العربية ستطبق الاستراتيجية الثقافية في حال وجودها، ليجيب فوراً بـ«لا»، معللاً إجابته بالقول: الاستراتيجية الثقافية الحقيقية التي تغير المجتمع ترفض وجود حكومات كحكوماتنا، ولذا ستقاومها، ولكن هناك حكومات عبر التاريخ كانت تسير في اتجاه، وغيَّر الحراك الاجتماعي وجهتها.

ووصف أبو بكر الحالة العامة العربية بـ«المزرية»، وقال: الحالة العامة لتمثيل الكتاب العرب في اتحاداتهم وعلاقة الكُتاب بسلطاتهم سيئة جداً، ولكن الحالة الفردية لبعض الكتاب العرب جيدة، وأشار إلى أن الحكومات العربية غير معنية بالثقافة أصلاً، لافتاً إلى أن المثقفين هم من يتقربون من الحكومات لتحقيق مصالحهم الشخصية.